فقوله : (تألفتهم من بعد ما شردت بهم) يجوز أن تخفف فيه لفظة (شردت) ويجوز أن تثقل ، والتثقيل هو الوجه ؛ لأنه مقام الإصلاح بين قوم تنازعوا واختلفوا وتباينت قلوبهم وآراؤهم [١] .

وقد مدَّ العَلَوي هذا الباب من الأسماء والأفعال إلى الحروف ، ففي الأسماء كقوله تعالى : ﴿ الحي القيوم ﴾ فإنه أبلغ من قوله : (قائم) .

وكقول أبي نواس :

فَعَفَوْتَ عَنّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ جَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغاها

فلم يقل : (قادر) مبالغةً في الأمر .

وفي الأفعال كقوله تعالى : ﴿ فكبكبوا فيها ﴾ ، فإنه مأخوذ من (الكَبّ) وهو القلب ، لكنه كرر الباء للمبالغة . ومنه قوله تعالي : ﴿ فَسَيَكْفيكَهم الله ﴾ ، قلو قال : (فكفاك إياهم) لم يكن فيه بلاغة .

وفي الحروف كقولنا : (سأفعل وسوف أفعل) ، فإن زمان (سوف) أوسع من زمان (السين) ، وما ذاك إلا لأجل امتداد حروفها [٢] .

لقد اتضح — إذًا — أن النظر إلى اللفظة من حيث حجمها مسألة نسبية ؛ فالطول لا يستوجب ثقلا ، بدليل مجيء كثير من الألفاظ الكثيرة الحروف في النماذج الأدبية الجيِّدة ، بل مجيئها في القرآن أيضًا ، والملاحظ أن طول اللفظة قد يستوجب تغيرًا في الدَّلالة بالمبالغة أو التوكيد ، تبعًا للسياق الذي تزرع فيه ، وقد يأتي هذا الطول نتيجةً لمقتضيات البناء الصَّرْفي ، كما في

(١) ابن الأثير : المثل السائر ، ج ٢ ، ص ٢٥٤–٢٥٥ .
(٢) العلوي : الطراز ، ج ٢ ، ص ١٦٢–١٦٥ .